

الفصل السابع والثمانون

فكرْ بنفسك أولاً

أنت لا تعرف كم يبدو العالم واعدًا، إذا ما
قررت أنك تريد امتلاك كل شيء، وكم
ستغدو قراراتك أكثر سلامةً، إذا أنت لم تعد
تتخذها إلا لصالحك.

أنيتا بروكنر

نشأنا جميعاً على اعتقادٍ مفاده أن الأنانية شيء سلبي، وهذا صحيح بلا شك،
إن نحن جرحنا بذلك أناساً آخرين. ولكن الأنانية شيء إيجابي بصورة عامة، فنحن
نُظهر بها أننا لا نرتضي لأنفسنا إلا الأفضل. إذا أردنا اجتذاب النجاح، يجب علينا
أن نفكرْ بأنفسنا أولاً. فإن كنت لا تأبه لنفسك ولا تراعيها، يتعدّر عليك أن تأبه
للآخرين وتراعيهم. ولا تنس أن إدراج مساءك الشخصي المقدّس (الفكرة رقم 40)
يتطلب قدراً كافياً من الأنانية. عندما استحدثت مشروع "شارع نظيف" (الفكرة
رقم 52)، لم يكن وراءه إلا إيثار الذات والأنانية الخالصة؛ فقد أردت أن أعيش في
شارع نظيف ومرتب، وكان وجود المرشدين يضايقني. ولا أزال إلى اليوم، عندما
يطلب مني أحد المرشدين نقوداً، أعرض عليه العمل كمنظّف شوارع، ففي النهاية
هناك ما يكفي من الشوارع القذرة في مناهاتن. لو كنا جميعاً أكثر أنانية قليلاً
وشرعنا في مواجهة الأمور التي تزعجنا، لما وُجدت منشآت إنذار ولا تلوّث بيئة
ولا تشرد ولا جوع. إذ إن أحداً لا يرتضي بذلك في الواقع. إن كنت ترغب في هواءٍ
نظيف لك ولأسرتك، وقمت بالخطوات المناسبة، فيرجح أن تنتقل عدوى هذه المبادرة
إلى جيرانك أيضاً. وربما أمكنكم عندئذ من أن تُطلقوا مبادرة أهلية، أو حتى
تشكلوا جمعيات أهلية. تكفي أصغر المبادرات لتحريك المياه الراكدة. وسوف

تستغرب حجم الدوائر التي ترسمها الموجات التي تُحدثها. إذاً، اهتمّ بنفسك أولاً، وسوف يهتمّ بك العالم أيضاً.

ولكن كيف يعمل هذا مع الأنانية؟ ما الذي كنتِ تودّ تغييره في حياتك، لو كنتِ أنانياً بالمثل؟ كان الاهتمام بابنتيها الاثنتين وبنجاحها المهني يشغلان زبونتني كارلوتا إلى حدّ أنها لم تعدْ تجد أيّ وقت لنفسها. كانت عضواً في نادٍ للرشاقة، بيد أنها كانت تضيّع الكثير من الوقت في إيصال ابنتيها إلى دوراتٍ مختلفة إلى حدّ أنها لم تعرف نادى الرشاقة من الداخل. طلبتُ إلى كارلوتا أن تفكّر بنفسها أولاً. كان عليها أن تغيّر شيئاً ما بصورة مستعجلة، لذلك قرّرتُ أن تكفّ عن كونها سائقة لا تكل ولا تمل لدى ابنتيها. صحيح أنها كانت ترى أن عليها أن تبذل قصارى جهدها في كثيرٍ من الأعمال، ولكن الأمر لم يعدْ يحدث على حسابها هي فقط، فقد أوضحتُ لابنتيها أنها تحتاج إلى المزيد من الوقت لنفسها. قامت البنات بتسقط الأخبار، ووجدتا من يقلّهما إلى تمرين الكرة الطائرة. وعن طريق الحديث مع والدتهما كشفت الفتاتان أنهما هما أيضاً تشعران بالكرب والضغط بسبب أنشطة أوقات الفراغ العديدة، فقرّرتا شطب واحدة على الأقل من دوراتهما من الآن فصاعداً، وقضاء هذا الوقت في كنف الأسرة. خشيتُ كارلوتا بدايةً من لوم ابنتيها لها على أنانيتيها، ولكن تبين أن جميع أفراد الأسرة أفادوا من ذلك.

أنا اشهد المرة تلو الأخرى كيف أنه وبمجرد أن يفكّر أحدهم بنفسه أولاً، تنتفع من ذلك الأطراف كافة. حينما كان أحد زملائي يشعر أنه ليس على ما يرام، كان يقرّر إلغاء جميع مواعيده مع زبائنه. صحيح أن هذا التصرف في منتهى الأنانية، ولكن حينما كان زميلي يتصل بزبائنه، يتّضح أنهم كانوا جميعاً سعداء لإرجاء مواعيدهم. إذاً، فعن طريق وضع نفسه في المقام الأول، أتاح لزبائنه فعل الشيء نفسه أيضاً.

الغريب أن قدراً معيناً من الأنانية يزيد من جاذبيتك نحو الغير. جربْ ذلك، وانظر ما يحدث. إنما لا تخلط بين الأنانية واللامبالاة أو عدم الاكتراث! حينما لا تعطي مكانك لامرأة عجوز أو لشخصٍ معوّق، من تظنّ أنه يشعر بالضيق والتأزّم فعلاً في النهاية؟ لا أحد غيرك! ولكنك تشعر بالارتياح عندما تعطي مكانك لأحدهما. حتى عندما تقدّم هدايا أو إطراءات، فهذا في النهاية مجرد أنانية، إذ إنك تُسرّ بالعطاء (الفكرة رقم 49). إذاً، فكّر من الآن فصاعداً بنفسك أولاً.

